

بسم الله الرحمن الرحيم

تتارستان، وسر العداء الروسي المتجدد

الجزء الأول

جرائم العصر الشيوعي

الموقع الجغرافي والموارد الطبيعية:

تتارستان أرض لا تجاور أي دولة أجنبية وتقع في قلب روسيا الاتحادية في السهل الأوروبي الشرقي. وتتكون من ٥٧ وحدة إدارية. وتحلل تتارستان موقعاً مهماً على نهر فولغا شريان الحياة الرئيسي لوسط روسيا.

تتارستان واحدة من أهم مناطق إنتاج وتصنيع النفط في روسيا. ومن تتارستان يبدأ خط أنابيب البترول إلى شرق أوروبا المعروف باسم خط "الصدقة". وبالأراضي التتارية موارد معدنية وزراعية متعددة،

وتشتهر بثروتها المائية والغابية وترتبتها الخصبة. تُعدّ مركزاً صناعياً مهماً لروسيا. وكان الإقليم الذي تقع فيه تتارستان هو الحصن الذي انتقلت إليه الصناعات السوفيتية إبان الهجوم النازي على الاتحاد السوفيتي ومحاصرته ليننغراد واقترابه من احتلال موسكو.

وحتى نقف على فهم سر العداء الروسي للإسلام والمسلمين، لا بد أن نتذكر أن الاتحاد السوفيتي البائد تكون قبل تفككه من خمس عشرة جمهورية اتحادية رئيسية وبلغ عدد سكانه مجتمعاً نحو ٢٨٦ مليون نسمة، وشغل مساحة إجمالية قدرها ٢٢ مليون كم^٢، وكان عدد السكان المسلمين فيه عند انفراط عقده نحو ٧٥ مليون نسمة، أي حوالي نسبة ٢٧ بالمائة من سكانه كانوا مسلمين حين تفككه،

جرائم العصر الشيوعي

بالتزامن مع الثورة البلشفية، قام المسلمون بالانتفاضة ضد العهد القيصري الذي كان يسومهم سوء العذاب، واستقلوا بجمهورياتهم، إلا أن البلاشفة الذين استنجدوا بالمسلمين في بداية الأمر لينتفضوا وإياهم ضد القيصرية، قلبوا للمسلمين ظهر المجن، وما هي إلا ثلاث سنوات حتى أرسلوا الجيش الأحمر يعمل في المسلمين ذبحاً، واحتلوا جمهورياتهم الفتية، وألحقوها بالاتحاد السوفياتي الناشئ.

في العام ١٩٢٩ أعلن الشيوعيون في مؤتمر الحزب الشيوعي الخامس عشر بزعامة ستالين حملتهم المناهضة للأديان لفرض الإلحاد، واستمرت الحملة العنيفة حتى بداية الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩،

ترافقت هذه الحملة مع سعي الكثير من المسلمين لإقامة دولة إسلامية موحدة في آسيا الوسطى [المصدر]، مما يعني أن المسلمين في تلك البقاع الغالية على قلوبنا، لم يكفوا عن التفكير في الإسلام وفي إقامة دولته حتى وهم تحت مقصلة ستالين الرهيبة.

وللوقوف على بعض الحقائق التي تنبئ عن شدة الحملة، نجد أن عدد المساجد في آسيا الوسطى في ١٩١٧ حوالي ٢٠ ألف مسجد، بقي منها في العام ١٩٢٩ أربعة آلاف، وهدم حوالي ١٦ ألف مسجد، خلال ١٢ سنة من الثورة الشيوعية، فما أن انقضت الحملة حتى لم يبق إلا أقل من ستين مسجداً في أوزبكستان!.

ويكفي أن نعلم أن حوالي ٤١ مليوناً من السكان من المسلمين والنصارى سجنوا في الفترة هذه وعذبوا، وأعدم منهم من أعدم.

تقول الإحصائيات بأن الشيوعيين السوفيات مسئولون عن قتل ٦١ مليون إنسان من مسلمين ونصارى [المصدر]، وأن ستالين وحده مسئول عن قتل ٤٣ مليوناً منهم، عبر مجازر ومجاعات وأعمال شاقة وغيرها من الأمور، ولعل

¹ Froese, Paul. "I am an atheist and a Muslim": Islam, communism, and ideological competition." Journal of Church and State 47.3 (2005)

بعض الأرقام تشير إلى إبادة الشيوعيين لأكثر من عشرين مليون مسلم خلال خمسين عاماً، وقد ثبت بالإحصائيات الروسية أن ستالين وحده قتل ١١ مليون مسلم على أقل التقديرات، وبنظرة سريعة على بعض الإحصائيات الأخرى، ولنأخذ تركستان والقرم كنموذج.

أ - أعمالهم في تركستان: قتل الشيوعيون في تركستان وحدها سنة ١٩٣٤م مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية، والعلماء، والمتقنين، والتجار، والمزارعين.

وفي ما بين سنة ١٩٣٧-١٩٣٩م أُلقت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم، وعدد من الذين استخدمتهم في الوظائف الحكومية، ثم أعدمت فريقاً، وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا.

وقتلوا سنة ١٩٥٠م سبعة آلاف مسلم، ونفوا من تركستان سنة ١٩٣٤م ثلاثمائة ألف مسلم.

وقد هرب من تركستان منذ سنة ١٩١٩م مليونان ونصف مليون من المسلمين.

وفي سنة ١٩٤٩م هرب ألفان من تركستان الشرقية، ولاقى ١٢٠٠ من هذا الفريق حتفه وهم في الطريق إلى الهند.

وفي سنة ١٩٥٠م هرب من تركستان ٢٠٠٠٠ من المسلمين والتجأوا إلى البلاد الإسلامية في الشرق الأدنى.

ومن سنة ١٩٣٢م إلى ١٩٣٤م مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً؛ نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد، وتقديمها إلى الصينيين الذين أدخلوهم إلى تركستان.

ونتيجة لقانون مزج الشعوب في الاتحاد السوفياتي نفت روسيا ٤٠٠٠٠٠ مسلم تركستاني إلى أوكرانيا، وأواسط روسيا، فاندمجوا في تلك الشعوب، وفقدوا وطنهم الأصلي.

وفي سنة ١٩٥١م أُلقي القبض على ١٣٥٦٥ مسلماً في تركستان وأودعوا المعتقلات.

ب - في القرم: أبادوا في القرم سنة ١٩٢١م مائة ألف مسلم بالجوع، وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة في عهد بلاكون الشيوعي الهنغاري الذي نصبوه رئيساً للجمهورية القرمية.

وفي سنة ١٩٤٦م نفوا شعبين إسلاميين كاملين، وهم شعب جمهوريتي القرم وتشيس إلى مجاهل سيبيريا، وأحلوا محلهم الروس.

ومن جرائم الشيوعيين التي أنزلوها بالمسلمين صور التعذيب، وأفانينه العجيبة، فمن ذلك ما حل بمسلمي تركستان الشرقية عندما رفضوا إلحادية ماركس.

وفيما يلي ذكر لبعض صور التعذيب التي تقشع منها الجلود، ويقف لِهَوْلِهَا شعر الرأس [الكيد الأحمر، وتعليق الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني على كتاب الإلحاد للشيخ محمد الخضر حسين].

١- دُقُّ مسامير طويلة في رأس المُعذَّب حتى تصل مُخَّهُ.

٢- صبُّ البترول على المُعذَّب، ثم إشعال النار فيه حتى يحترق.

٣- جعل المسجون المعذب هدفاً لرصاص الجنود الذين يتدربون على تسديد الأهداف.

٤- حبس المعتقلين في سجون لا تدخل إليها الشمس، ولا ينفذ منها هواء، وتجوعهم حتى الموت.

٥- وضع خوذات معدنية على رأس المعذب، وإمرار تيار كهربائي فيها؛ لاقتلاع العيون.

٦- ربط رأس المعذب في طرف آلة ميكانيكية، وربط باقي الجسم في آلة أخرى، ثم تحريك كلٍّ من الآلتين في تباعد وتقارب شداً وضغطاً على المُعذَّب، حتى يعترف على نفسه وغيره، أو يموت.

٧- كيُّ كلِّ عضوٍ من الجسم بقطعة من الحديد المحمي إلى درجة الاحمرار.

٨- صبُّ زيتٍ مغليٍّ على الجسم.

٩- دُقُّ مسامير حديدية، أو إبر في أجسام المُعذَّبين.

١٠- إجلاس المعذبين جلسات خاصة فيها ألم شديد؛ إذ يستطيع المشرفون على التعذيب الضرب على الأعضاء التناسلية.

١١- إدخال قضيب من الحديد المحمي في مكان شديد الحساسية من الجسم.

١٢- دق المسامير في رؤوس الأصابع حتى تخرج من الجانب الآخر.

١٣- ربط المسجون المُعذَّب على سرير حديدي ربطاً محكماً لا يستطيع معه التحرك، وذلك لعدة أيام قد يتفطر منها جسمه.

١٤- إجبار المسجون المُعذَّب على أن يمد جسمه عارياً على قطع من الثلج أيام الشتاء والبرد القارس.

١٥- وضع لوح من الخشب فوق رقبة المُعذَّب وكتفيه؛ ليظل منحنيلاً لا يستطيع الحركة.

١٦- نتف خصل من شعر الرأس بعنف يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس.

١٧- تمشيط جسم المُعذَّب بأمشاط حديدية حادة.

١٨- صب المواد الكيماوية الكاوية في أنوف المسجونين وفي أعينهم بعد ربطهم ربطاً محكماً.

١٩- وضع صخرة ثقيلة على ظهر المسجون والمُعذَّب بعد ربط يديه وراء ظهره.

٢٠- ربط يدي المسجون وشدهما إلى أعلى، وتعليقه منهما حتى يكون متدلياً في الهواء بثقل جسمه، وتركه كذلك ليلة كاملة أو أكثر.

ونتيجة لهذه الإبادة والتهجير حصل نقص بعدد المسلمين في بعض المناطق الإسلامية نقصاً رهيباً؛ فمنطقة داغستان مثلاً كان عدد سكانها ثمانية ملايين في عام ١٩١٧ وتناقصوا إلى ١٦٢٧٠٠٠ فقط في عام ١٩٧٧، وتناقص عدد سكان منطقة القرم من خمسة ملايين ليصبح أقل من نصف مليون.

ولولا هذه الإبادة الممنهجة لكان أكثر من نصف سكان الاتحاد السوفياتي السابق من المسلمين، وهذا يدل على عمق الإسلام في هذه المنطقة من العالم وتجزره، كيف لا وقد انتشر الإسلام فيها منذ مهد الرسالة أيام الفتوحات الأولى، فهذه أراض ارتوت بدماء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

أبو مالك